

أختها وهي تتجمل للقاء صديقاتها  
وصويحباتها ! أى ذكرى صريحة  
بحملها ذاك اليوم الحزين ؟

\*\*\*

— يا أختاه ! لا بد أن  
أجل رأسك بتاج من الفل  
الطبيبي أوصيت بعمله ، سأخرج  
لأحضره وأعود به نوا ...

هكذا قالت لأختها وهي سادقة كل للصدق ..  
خرجت على أمل أن تعود ...

واليوم الأحد وعمل الورود مفلق . لقد نسيت  
ذلك ولم تذكره إلا عند ما بلغت مكانه ...  
وداهمتها خواطرهم المحزنة وصمب عليها أن تعود  
إلى أختها بنير الفل ...

ودون عمد تابعت الخطى حائرة لا تدري ماذا  
هي فاعلة ... وسارت في الطريق لا تلوى على شيء  
حتى أحست بنسيم معطر يجتاز جنبات نفسها  
فيجبرها بالطمأنينة ، وتنهت فإذا بها في طريق خال  
من السكان والمارة على جانبيه زرع للشتاء الأخضر  
في غير زى الربيع الناضر

وطاب لها المسير فلم ترد ، وظلت تمشي حتى  
استرعى نظرها شجرة كثيفة بتدلى من أغصانها ثمر  
الحناء ، فأسرعت الخطو لتجمع منه ما تستمبض به  
عن الفل ...

وما كادت تقترب من الشجرة حتى لحق رجلًا  
لم تذكره في أنه طبر طريق ؛ افترش الأرض واتخذ  
جذع الشجرة خدناً اعتمد عليه برأسه في شبه  
استسلام الوستان ؛ تصور ثيابه الرثة ما يمانيه من  
بؤس وشفاء ، ويحكي وجهه الشاحب أقصوة

## مجنون زاهد

بِقَلَمِ الْآنَسَةِ جَمِيلَةِ الْعَلَايَشَلِي  
« مهداة إلى صاحب القلب الحسن »

ليس أحب إلى النفس من الخلوة عند ما يفيض  
بالإنسان حزنه أو أساه ...

لدا لم يكن في وسع « هلا » أن تشارك أختها  
فرحة عيد ميلادها لتجهم نفسها وتلبد غيوم ذهابها ..  
إنها تحب أختها وتميل إلى الطرب أيضاً وتفرح  
لمسرة القريب وللغريب ، ولكن ذاك اليوم يذكرها  
بمأساة عاطفية رسمت حروفها النارية في سويداء قلبها  
البكر ...

ميلاد أختها ، وموت قلبها ، يجتمعان في يوم  
واحد . فإذا عساها أن تفعل ؟ ...

انتكاف البشر وليس في مقدورها أن تحبس  
دموعها في ذاك اليوم على الأخضر ...

حاولت جهدها أن تبدد الكآبة بشكاف البشر  
فلم تستطع ، وضافت بهواجسها حتى خيل إليها  
أن مجرد النظر إليها يدر الدموع من العينين ...

إذن لماذا تكون آفة ميلاد أختها السميد وهي  
تريد أن تكون بهجته وباعث مسرته .. ؟

كل شيء حواليا يحمل طابع الأبي في ذلك اليوم ،  
حتى الوسيق تباع مسميها كثرنية الجناز

أره ... لشد ما يفزعها مرأى ظواهر المرح  
والانشراح والطرب في البيت ! ولشد ما تنزعها رؤية

وظلت هي في موقفها تتأمله وهو يجري كالجنون  
يتلفت خلفه كالذئب ، حائرة بين ما تريد أن تفعله  
من أجله ، وبين ما تخافه منه :  
— أي شيطان يعنى يا ترى ؟ ... أراها فتاة  
حياته ... ؟

ثم هزولت خلفه تناديه : يا سيدى ، يا سيدى  
لم تكن هيئته تحمل على ذلك النداء المحترم ،  
ولكن هيئة الرجل ووقاره أ كسباء سمة أجل من  
جمال الزى وروعة الهندام

ووقف فظنته هداً ، ولما بلغتته اقترب منها باسمًا  
بسمه عربضة ، ثم رفع يده على غير ارتقاب  
ولطمها على خدها ، وباليد الأخرى جذبها من شعرها  
في قسوة جنونية وطوح بها بمبدأ فارغت على  
الأرض كالطائر الذبوح ثن بصوت متهدج ثم  
انقلعت أنفاسها . إنما لم يطل بها الاغماء حيث مال  
عليها ينهبها ، أولعله شاء أن يتأكد إن كانت حية  
أو ميتة ...

ولما انتهت نظرت إليه بعينين دامعتين وغمغمت :  
— ماذا جنبت ... ؟  
وكان صوبها منهم صوب إلى صدره فقبض  
عليها بكنتا يديه في قسوة وهو يتمم : أما زلت حية ؟  
وأزعجها الشرر المتطاير من عينيه للفاضبتين  
فقلت بصوت رقيق :

— ولماذا تريد موئى ؟ ما ذنبى ؟  
— فقال بصوت مرتعش فثر يفيض بلهب  
قلبه : شيطانة ...  
فتكافت بسمه وهي تقول : هدى روعك  
وسامحك الله ...

كانت لهجتها لطيفة مليئة بالحنان ونظراتها كافية  
لبعث الطمانينة في نفسه ، لكنه أطرق برأسه في صمت  
الدامل

الآلام والحرمان ويشيع من عينيه بريق الدهول ..  
أى منظر مروع ! منظر الرجل القوى الذى  
يمجز عن التمتع بالحياة كما يتمتع بها كل رجل ،  
لا عن مرض أو عاهة ، بل عن يأس وقنوط  
مرض الجسم يداوى ... أما مرض النفس  
فلا دواء له ، يظل بصاحبه حتى يمته ...

ولا شك أن هذا الرجل مصاب بمرض نفسه  
إذ لا تبدو عليه ظواهر عل البدن  
تقدمت منه الفتاة حتى واجهته بدافع الشفقة ...  
مدت إليه يدها بيضمة دريهمات ظناً منها أن من يقنع  
بالجلوس في هذا الخلاء المقفر لا شك أنه يعاف  
التوسل إلى الناس ويستنكر الاستجداء

ولم يكده بلح حركة يدها والنقود حتى ضحك  
بصوت جنونى هازأ رأسه في إياه ناظرًا إليها في غيظ  
كان بينها وبينه حقدًا قديمًا أو كأنها هتكت كرامته  
وجرحت رجواته

وكانت نظرته كافية لرد الفتاة إلى الصمت  
والخجل على أنها وقفت قبالة حائرة مذهولة لا تدري  
ماذا تقول وماذا تفعل ، وقد تنبه شعورها الرحيم  
فاجترأت وتقدمت منه قائلة : سيدى ، ما ضحك  
لي سمحت لي بمساعدتك ؟ أراك في حاجة إلى المساعدة  
فرفع الرجل رأسه في كبرياء ونظر إليها محققًا  
ثم قال بلهجة جافة : حتى هنا الشيطان يتبعنى ... ؟  
ويحى ... ثم أن كالوجيع وشد شعر رأسه المشعث  
بيد مرتعشة محومة ، ويده الأخرى أشار إليها قائلاً :

— إذهبي أيتها الشيطانة !  
فربت الفتاة ، ولكنها غلبت الخوف قائلة :

— هون عليك يا سيدى  
ولكنه لم يكده يستمع إليها حتى انتصب وراح  
يمدو كالمتموه مردداً : ظننت هذا الخلاء لا بأوبه  
شياطين الانس !

في هذه اللحظة أحست الفتاة أنها خلقت من أجل ذلك الرجل فنسيت الوجود وعادت تقول في شبه همس :

قاي يتحدثني أنك بليت بغدر امرأة أو عل الموت اختطفها منك

فالتفت إليها في هدوء واستمع إليها في لهفة، ولما صمتت قال : أنا لا أنقم على المرأة غدرها ... لأن الرجل هو الذي يبت في صدرها بذور الشك بسوء تصرفاته أحياناً ...

إنما أنقم على الحياة لأنها تقضي على الحب بالموت في قلب بينا نحياه في القلب الآخر ... كأنه يخرج من هنا ليدخل هناك ...

ثم ضحك بغير صوت مردها : أنقذ نفسك وحلي بالذهاب ... فاني أشم رائحة أنفاسها منك، ولو طال مكثك بجانبني فلا بد من قتلك ... دون حمد ... أنا الآن هادي يافتاة وأعتذر إليك بما بدر مني ، فسامحيني وأركبني

كان يقول ذلك وهو يجاهد في نفسه مصابين مصاب المأسى الأليم ومصاب الحاضر الذي يغريه على التعلق به وليس في مقدوره أن يجاوبه بالعزاء

وكان كلماته خلاصة ما تشهيه المرأة من حب صباها بمهارة في قلبها فأكسبته حرارة ولهفة، فقالت : لن أتحدث إليك بلساني يا سيدي ، إنما أرجوك أن تنظر إلى عيني ... أنظر طويلاً وأقرأ دخيلة صدري ولا شك أنك ستفهم ما أعنيه

فاجر وجهه وارتمشت شفاته وحول وجهه بعيداً ثم عاد ونظر إلى وجهها متمعداً ألا ينظر في عينيها وهو يقول : آه من الميتين ... بها سعدت ومنهما شقيت ...

فقاطعه : ولم لا تكون شقيت بهما ومنهما تسعد؟ فمز رأسه مرتاباً وتهد ثم أطرق ، ففهمت أن

فتقدمت إليه في عناء لأن الصدمة آلتها وصح هزمها على أن تساره وتلاطفه حتى يطمئن إليها وبقص عليها حكايته ...

قالت :

— يا سيدي ، إن كنت في حاجة إلى ابنة فها أنا ذى ، وإن كنت في حاجة إلى أخت فلك منى هذه الأخت ... خذ منى ما يتقصك من حنان ورعاية وحسبك .

قالت ذلك بلهجة موزونة حارة انسكبت من معين صاف ... كل كلمة فيها من قوة للصدق ما يزرى بكل حيار عتيد

ونظرت إليه وشماع نظراتها بصوراً أجل ما يمتناه الرجل من حب وحنين !

ولكنه غص الطرف مليا وهو بمض شفثيه كأنه يمانى ألماً ممضاً في نفسه، ثم وقف وانقض عليها كما يفعل الأسد المصور بغيرسته وشده شعرها وهو يلفه على يده ناظراً إليها في ثورة وجنون، ثم جذبها في عنف وصدم رأسها بجذع الشجرة فسال الدم منه. ولم يكذب بلح الدم يسيل حتى ضحك مقهقماً في جنون، ثم أقبل على الدم بغمه يعب منه كأنه أشهى غذاء يرتجيه وهي من هول الصدمة ساكتة سكنة الأموات وقد ارتسم على شفثها اصفرار الموت وأسبلت جفونها في استسلام الفناء

ثم تركها وارتقى على الأرض يكي كالأطفال، فالتفت ومالت عليه حانية متناسية ألها وما ألم بها قائلة بصوت خفيض متقطع : إن كان قتلى يريحك ويميد إليك صفاء نفسك وهدوء بالك فأقدم عليه غير هيب ، فليست حياتي ذات قيمة في ناظري

وسحبت يده في لطف وساعده حتى اعتدل في جلسته ...

وتشقينا به؟ ثم أشاح بوجهه مدممًا : لا، لا يمكن  
أبدأ ... أنا حالم لا محالة ... ثم عارده الضحك  
الجنوني ووضع رأسه بين ركبتيه ليخفي مداممه  
ويخرس تنهداته

فرفمت رأسه بيديها محاولة أن تجذب نظره  
بمينها قائلة : ليتني أعرف أين فتاتك لأسى إليها.  
فصرخ في وجهها : كفى عن الهذيان، لقد ماتت ..  
فشهقت قائلة : رحمها الله .. ولماذا تقتل نفسك  
مادامت ذهبت عنك على الرغم منها، إذن أنا أشد منك  
قوة وأكثر إرادة ... في اليوم الذي قيدت نفسي  
بالرجل الذي ظننت أنه مثلي الأعلى تبين لي أنه يلهو  
بغيري، ولقد نبذته نبذ النواة واستطعت أن أتناساه.  
ثم تكلمت ضحكة وأعقبت : خل عنك الحياة بين  
بأس ورجاء ... فأجمل ضوء الرجاء قبلة ناظريك دائماً.  
فصمت مفكراً فيما قالته يحلل مرماه ومقواه  
ولقد استطاعت الفتاة بجاذبيتها ولباقتها أن  
تحوله من الركود المطلق إلى الأمل الحلو المرتقب ،  
وأيقن أن الله أراد به خيراً فأرسل إليه ملاك الرحمة  
في كيان هذه الفتاة ...

ومال برأسه على كتفها في شبه إغفاء ، وغاب  
بخياله عن الوجود ...

وهدأت الفتاة راحية أن يماوده البشر والأمل ،  
وراحت تتأمل وجهه الشاحب الحزين . ثم انتقلت  
ببصرها إلى صدره ، وهو يملو وينخفض كأنه ضاق  
بأنفاسه

ولحت طرف ورقة تبدو من وراء ثيابه فلكها  
الشیطان ، ومدت يدها في حذر تسحب الورقة ...  
أوراق صفراء تثبت عدد السنين الخوالي .  
قد تباع أربع سنوات ، ولقد اكتسح الزمن

فتاته ذات تأثير ساحر بيمينها، فترفت به وقالت ..  
يخبيل إلى أنك لجأت إلى هذا المكان النائي  
تحت تأثير أمر جليل. ألا تفتح لي صدرك على ذلك  
برفه عنك؟ فقال : وما الفائدة .. انتهى كل شيء .  
انتهى كل شيء ...

فقاطمته : ولكنك رجل

قال : وهل تحارب المرأة إلا الرجولة ؟

قالت : تمصف بالضعيف وتستسلم للقوي

قال : وهي جاهلة لا تفرق بين الضعف والقوة

قالت : لأن الرياء والكذب يشوهان حقائق

الوجود ...

وهنا لازمه الوجوم ولم يتكلم ولحت جسمه  
يهتز كأن قشعريرة الحمى ملكته فمطفت عليه وهممت  
في لطف : أظنك تشمر ببرد شديد ... وخلعت  
مطفئها ثم ألفته على كتفيه فلم يمانع ، ونظر إليها  
في هدوء وتمتم : من أنت يا فتاة ؟ قالت وهي تمر على  
شعره المشعث بيدها للناعمة في حنان : بهثنى الله  
إليك لأسمعك . فلم يتكلم ، وتساقت مداممه كالندى  
الصافي فأكسبت خده الشاحب حمرة الشفق المزدهج  
فابتسمت قائلة : ألا تشمر بالحياة تسرى في شرايبك ؟  
ألا تحس بخفقة القلب الهنيء يحرك كيانك ؟

فد يده في بطء كأنه يتهيب لمسها، لكنه يريد  
أن يتحقق من أنه يخاطب إنساناً ثم قال مغمماً : أيمكن  
أن تكوني امرأة حقاً ؟

أيمكن أن يكون بين شياطين النساء امرأة  
واحدة تحمل قلب ملاك ؟

أيمكن أن يكون ذاك الصوت الموسيقي لحن  
قلب صادق ؟

ثم صرخ ملتهاعاً : رياه ... لم تسمعنا بالحلب

أن روعي انسرحت من الكثافة الحاجبة في عالم الحسن واستشفت الحقيقة في عالم النيب المجهول غير المدرك أو اللعوس. ألا ترى متى أن الحياة أقرب إلى الخلود منها إلى الفناء إذا لازم الحب عمرها الحافل بالأمانى الحسان .

ألا يحتمل أن يكون الخلود هو هذه الساعات الحبيبة المليئة بنشوة الحب الطهور ؟  
نقد كونت الطبيعة الانسان ثمرة للحب، فهو إذن بالمادة والروح من عناصر الحب ... خلق به ومنهوله . فالروح الذي ياتهب وحده بكهرباء الحب يدرك بالفرزة عناصر وجوده ثم مستلزمات الوجود وفهم الحب، والشعور بالحاجة إليه كنهم للحياة هو الباعث على تنبيه الماطفة إلى حد الاحتراق . إذن بلغت الآن إدراك الحقيقة وبدأت أفهم نظرية صحيحة لها أسامها العلمى .

الحب من عناصر الحياة إذا لم نجزم قطعاً بأنه ذات الحياة .

ولسكل حياة مظهر للدلالة على وجودها، كذلك الحب يدل على وجوده بتنبيه الماطفة وفورتها، يملأ الفؤاد كما تملأ الكهرباء الجو ... يكون بغير حصر حتى يحصر، وبدون نتيجة عملية إيجابية حتى يركز فيتوجه للعمل الايجابي والانتاج .

فأنا قبلا كان حبي موزعاً لأننى لم أصادف نقطة الارتكاز ... فلما وجدتها عدت لا أملك هبة قلبى ولم أقدمه طوعاً .. بل انزع منى انتزاعاً .

وهأنذا أشعر أن الماطفة تسار عطفى جنباً إلى جنب من ذلك تعرف أن العقل لا يخالف القلب إلا إذا كان الحب وليد الهوس والجنون والكذب والنفاق؛ أما إذا كان الحب وليد الايمان الأكيد والميل للصحيح والشعور الصادق فلا سبيل للعقل غير مشاركة القلب في وجدانه بتفكيره .

الراجل لون الجد الزامى ، ولم يبق من الحروف غير ظلها . ولانا كدت من غفوة : راحت تحاول قراءة الرسالة فاذا بها :  
يا طائرى

بودى لو أكتب بغير مداد  
أستمع بيد الأزل المجهولة على تسجيل عواطفى  
للنورانية ... ولكن أين العين التى تنبئ هذه الحروف الخفية ، وتدرك ما وراء نفسى الغامضة حتى أنت ؟ أيمكن أن تفهم مرماى ؟  
إنى أشك . رغم ما بيننا من تفاهم وطيد ...  
صرت من الأعماق بصرخ فى أعماق مجلجلا  
كأرعد : أريدك تفهمنى كما أنا  
وحبى ...

قد تقول : كيف لا أفهمك وأنا أحبك ؟  
وأنا أقول : قد تكون فهمتى كما يفهم كل رجل امرأة .  
وأنا أريد أن تفهم روحك روى ، ويدرك قلبك معنى قلبى .

فاذا نظرت إليك دون كلام فهمت حكاية نفسى ونشيد روى وأغاني قلبى فتفهم حقيقة حبي ، ذلك الحب الذى يشبه البخار الذى رفمته الحرارة من البحر الأجاج فأنهم ماء حلوا على قمم الجبال ، وجرى أنهارا فى الوديان ثم عاد إلى البحر حيث كان ...  
ثم أستودع الله ما انفصل عنى لغير عودة —  
أستودع قلبى الطليق لأستقبل قلبى المقيد ، وأستودع أحلام المندراء لأستقبل مسئولية المرأة ، وأستودع كل القلوب الهائمة حوالى لأستقبل قلباً واحداً أعز من الحياة على .

تسألنى : هل أحبك ؟  
وجوابى : أنا أعرف إنى محبة لله ، وأن ذاك الحب الجليل يتجسم فىك وحدك ، حتى أحسست

فتحن نحب الله بقلوبنا ، ونفكر فيه بقولنا ،  
وكذلك الحال إذا حدث التفاهم بين شخصين  
والآن ليس في مقدوري بعد الآن مخالفة قانون  
الجاذبية .

وجميع قوانين الطبيعة صحيحة خالدة مهما اختلفت  
المظاهر وتنوعت الظروف والأجواء  
إذن لا تتمجّل الظروف فكل شيء حينه ،  
فالجنين يوضع عند اكتماله ، والثمرة تسقط عن الشجرة  
بعد تمام النضج

وحبي لن واجهك إلا بعد أن تثبت أركانك .  
الآن آمنت . الحب كالقدر أعمي  
وطلب المثل الأعلى في الحب أمنية من الأمناني  
والقدر يلعب دوره حتى في المواطن ، فقد يتركز  
الحب في غير ما يمتناه الإنسان برغبته وبمقله ومصالحته  
فيخضع لسلطان المستبد

أنا لا أرجو ولا أؤمل ، وليس لي هدف حسي ؛  
إنما أعيش بالروح في عالم الروح ، نشدتي روحية  
ومسراتي وآلامي باطنية منفصلة عن الحواس جميعها  
والتخيل هو ارتقاء الفكر عن العالم المحسوس  
وعالم الخيال ، هو عالم الحقيقة لمن يرتقي عقله عن طباق  
المقل المحبوس ، فإذا تحيات فلنفسى ، وإذا ناجيت  
فكأننى أناجى روحى لأن طيف ألبني صورة مماثلة  
لي ... أراها فى وأراى فيها ولا يمنع التخيل مانع  
مادى ، وليس لعالم الخيال حد ... كذلك لا تجول  
دون الروحانية الحوائل الوصفية . ولعل من أعجب  
المعجب أن نتحاب قبل أن نتعارف كما يحدث دائماً  
بين الناس ، ولماذا ؟ لأن الكهرباء التى تضىء  
مصباحك الروحى هي التى تضىء مصباحى  
ولأن القوة المجهولة التى تحرك الخيال للتخيل

هى التى حركت الناحيتين للعمل والاتجاه المتماثل ،  
كما تحرك الكهرباء قطارات الترام على شتى الخطوط .  
إذن ليس في مقدورى مطلقاً أن أحاول مقاومة  
الطبيعة لأننى لا أملك القوة على مخالفة للناموس ،  
وأرى الماطفة تسيرها وحدة الوجود فى السبيل  
المرسوم لها من الأزل بقوة المحرك العام مصدر  
الحركة والسكون

لطالما حاولت أن أخفى هواى  
وهاهى ذى الطبيعة تنابنى أخيراً وتقهرنى . كنت  
أتحصن دائماً بكبريائى ، وفاتنى أن الطبيعة أقوى من  
الكبرياء ، إذ الكبرياء تنفذها المادة وتهديها  
أما الماطفة فتنفذها للفرزة أونااموس الكون  
ثم تطلقها فى غير هدى

وأنا عند ما أصارحك بهواى أكون صادقة ،  
إذ ليست عاطفتى وثبة عن طيش ولا قفزة عن رعونة  
ولا وسيلة لتحقيق أمل

إنما هي يسميها الفكر المحدود مصادفة ، ويقرر  
العالم أنها لازمة الاستقرار فلها قيمتها المعنوية فى  
حياتى وحياتك « هلا »

لا ندرى للفنائة كيف قرأت الرسالة حتى النهاية .  
فقدت حواسها ولم تنبئه إلا على صوت صرختها  
المدوية عند ما قرأت اسم « هلا »

يا لله ... خطها وأسلوبها واسمها ... وذاك  
البائس حبيبها للغادر . صرخت ..

فتنبه النائم ونظر إليها مشدوهاً فإذا بها ترتعش  
وبين أصابعها الأوراق الدابلة ...

قال الرجل فى اضطراب : ماذا بك ؟ ففهممت :  
هو أنت ؟ ثم غابت عن الوجود

صبيد العليلي

( النصورة )